



بسم الله تعالى وله الحمد

فى فجر القرن الحادى عشر ظهر فى (فارس) من مدينة (شيراز) رجل فارسى المحتد، حقيق أن يعد من أعظم الفلاسفة الأثولوجيين الذين نظروا فى ملكوت السموات والأرض وكانوا من الموقنين.

وهو صدر الدين محمد بن إبراهيم الشيرازى، وكان ظهور هذا الفيلسوف الإلهى الكبير الذى سنأتى على صورة جلية من حياته وشخصيته وفلسفته، فى عصر كان نجم الفلسفة ضئيل النور لا ناصر لها إلا فئة قليلة ممن اختارهم الله لنصر العلم، وكان رجال الفكر يستترون وراء ستار التقية حقناً لدمائهم، وكانت صولة أهل الجمود شديدة قوية وقلم الفقهاء وخصوم الفلسفة أمضى من السيف، ولو لم يكن لمذهب التصوف بصيص نور وأنصار قليلون من الذين استنارت قلوبهم بنور العقل لكان هذا الفيلسوف الإلهى صريع جهل أهل عصره وقتيل عصيبتهم، ولكان جزاؤه على علمه جزاء شهاب الدين السهروردى - القتل الشهيد - على فكره.

هياً الشرق فى كل عصر للعالم رجالاً كباراً وحكماء عظماء، منهم من ملأت شهرته ومنهم من مات مجهولاً فى زاوية غربته. ومن لم يعرفوا حق المعرفة هذا الفيلسوف الربانى الجليل الذى لا شك أنه من حسنات القرن الحادى عشر يحق أن يعد من فطاحل الحكماء أمثال: (ابن سينا)، و(ابن

مسكويه)، و(نصير الدين) الطوسى الفلكى، والإمام (الغزالي) من الفرس، و(ابن رشد)، و(ابن باجة)، و(محيى الدين بن عربى) من العرب، وأمثال: (سقراط)، و(أفلاطون)، و(أرسطو)، وأمثال (سبينوا)^(١) (Spinoza) و(مالبراناش)^(٢) (Malebranche) من رجال الغرب.

اخترت للأطروحة وصف حياة هذا الفيلسوف وشخصيته وأهم فصول فلسفته لأسباب:

الأول: أنه خدم اللغة العربية أعظم خدمة إذ أخرج كنزاً عظيماً من درر الحكمة ولآلى العلم: من فلسفة اللاهوت والأخلاق والتصوف والحديث بلغة الضاد، ووضع كتباً تبلغ أربعة وأربعين أو خمسة وأربعين كتاباً ورسالة بتلك اللغة^(٣)، وهذا مما زادت به ثروة العلم فهذه الخدمة أحرى أن تقدر ولا سيما من علماء العرب ورجال الأدب فى الشرق والغرب كافة.

الثانى: أن روح فلسفته وإن غشاها حيناً بألفاظ معمّاة ولا تظهر إلا للمتضلع من فلسفته واصطلاحه، ترفع الخلاف فى كثير من المسائل التى طالما

(١) (سبينوزا) فيلسوف إلهى شهير ولد فى أمستردام سنة ١٦٣٢م، وهو من أنصار مذهب وحدة الوجود (البانتيسم). قال الدكتور (رابوبرت) فى شأنه أنه كان مملوءاً بحب الله حتى أصبح لا يرى أمامه إلا الله. توفى سنة (١٦٧٧م).

(٢) فيلسوف إلهى فرنسى، ولد فى باريس سنة ١٦٣٨م كان يسعى فى سبيل التوفيق بين الدين والفلسفة، وكان يقول يجب أن نحب الله حباً تاماً، توفى سنة (١٧١٥م).

(٣) عثرنا على كتبه إلا القليل منها فوجدناها باللغة العربية سوى رسالة صغيرة بالفارسية كتبها فى مبادئ عرفانية.

احتدم الجدل فيها بين الفيلسفين الروحية والمادية، وإن شئت قل أنها ترفع الخلاف بين عدة مسائل كان الخلاف فيها بين الفيلسفين جوهرياً، كالخلاف بين مذهبي أزلية المادة (العالم المادي) وحدوثها ووجود القوة المبدعة الخالقة المعبر عنها (بالله) وإثبات الشعور العام المعبر عنه بالعلم له، ووجود الحكمة والغاية من الخلق في جميع أجزاء الكون وعدمها، وهذه المسائل بحثت عنها في درس مذهبه الفلسفي، ثم أردفت البحث في هذه المسائل برأى هذا الفيلسوف في إثبات الشعور لذرات المادة المعبر عنها في اصطلاح الفلسفة الإغريقية بالهيولى من جماد ونبات؛ كراى العالم النباتى الهندى (جاجديس بوز)^(٤).

ثم جعلت مسك الختام كلمة صدر الدين فى العشق، وفيها اعتراف منه بفضل الدمشقين ودمشق.

الثالث: أن أوجه أنظار أهل العلم من الشرقيين والغربيين إلى أفكاره النيرة، وآرائه وفلسفته الروحية وإلى كتبه النفيسة التى هى مرآة أفكاره وأفكار عظماء الفلاسفة، كسقراط وأفلاطون وأرسطو وغيرهم من فلاسفة الإغريق والفرسوالروم وأتباعهم كابن سينا والفارابى وأمثالهما.

(٤) جاجديس بوز هو عالم نباتى هندى يعدُّ من مفاخر الهند فى هذا العصر اعترفت له أوروبا بما أسده إلى المعارف الإنسانية من يد، وأعلنت فوزه بالوصول إلى ما كان يتمنى الوصول إليه غير واحد من علمائها الذين بلغوا الذروة العليا بتحقيقاتهم، وهو الذى اخترع الجهاز (الكرسكوغراف) المغناطيسى الذى يجعل الحركات التى لا ترى بالعين المجردة أكثر وضوحاً بخمسين ألف ضعف وأظهره به للملأ حياة النبات وحركته.

ولا انتشار لكتبه القيمة إلا عند الخواص من العرب والفرس، على أن قدره لم يخف على بعض علماء أوروبا وكتّابها، فإن العلام (كونت دوغوبينو Comte de Gobineau) السفير الفرنسى الذى أقام من سنة (١٢٧١هـ إلى ١٢٧٤هـ) فى طهران كتب فى كتابه (المذاهب والفلسفة فى آسيا الوسطى) (Les Religions et les philosophies dans l'azie Centrale) فصلاً عنه لا تتجاوز بضع صحائف.

وورد أيضاً ذكره مختصراً بقلم المستشرق (كليمان هوار) فى معلمة الإسلام التى تنشرها جماعة من المستشرقين. ولكن:

الأول منها وفقاً لموضوع كتابه بحث عن ناحية أثره فى الفلسفة وتأثير فلسفته فى أهل عصره.

والثانى اعتمد على ما كتبه الكون (دوغوبينو) فى كتابه المذكور وعلى مصادر فارسية وقفنا عليها جميعاً.
